

❖ ابن خلدون

❖ **ابن خلدون:** هو عبد الرحمن أبو زيد ولي الدين بن خلدون الحضرمي

❖ ولد في تونس ٧٣٢ هـ وتوفي بمصر سنة ٨٠٨ هـ .

❖ (١٣٣٢م-١٤٠٦م)

يعتبر ابن خلدون من أعظم مفكري القرن الرابع عشر الميلادي، وكان رجل بلاط وسياسة خدم ملوكاً كثيرين ، وقام بأسفار ورحلات واتصل بشخصيات كثيرة وعاصر حوادث معقدة مما كان له أثره في حياته وفي بحوثه ودراساته ، وكان فوق ذلك رجلاً داعية وافر الذكاء يمتاز بذهنية دقيقة وقوة ملاحظة على التحصيل والإنتاج وكان واقعياً في اتجاهاته العلمية ولذلك جاءت دراساته اقرب إلى حقائق الأمور وأقرب إلى حقيقة المسائل المدروسة .

استعرض ابن خلدون كتب المؤرخين قبله ونفذها وصور مدى الانحطاط الذي نزل بالتاريخ ووجد أن الحاجة ماسة إلى كتاب جامع شامل لكتابة التاريخ على أساس جديد ومبادئ جديدة ومنهج جديد ، يقوم على الشرح والتحليل وتحليل الحوادث وقد أدى به هذا المنهج إلى نوع جديد من الفلسفة هي الفلسفة الاجتماعية وانتهى به إلى تقرير ضرورة قيام علم جديد هو علم العمران الذي نسميه حديثاً بعلم الاجتماع.

❖ أولاً: كيفية وصوله إلى علم الاجتماع وفهمه لظواهره.

قرأ ابن خلدون تاريخ العالم ولاسيما العالم الإسلامي وأرشدته دراسة هذا التاريخ إلى أن ما يحدث في العالم من ظواهر اجتماعية لا يسير حسب الأهواء والمصادفات ولا وفق إرادة الأفراد وإنما يسير وفق قوانين مطردة ثابتة لا تقل في ثباتها عن قوانين الظواهر الأخرى وهذا ما حمله على أن يرفض كثيراً من الروايات التاريخية التي لا تتفق مع هذه القوانين.

❖ لقد أيقن ابن خلدون:

أن التاريخ في ظاهره لا يزيد عن الإخبار، ولكن في باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق.

فالطريقة التي تمحص بها الوقائع ترجع عند ابن خلدون إلى أصل واحد هو وجوب البحث بطريقة نظرية عما إذا كانت واقعة من الوقائع وممكنة في ذاتها وعما إذا لم تكن مناقضة لطبائع العمران وعما إذا كانت متفقة مع الزمان والمكان اللذين حدثت فيهما

ولذلك يقول ابن خلدون:

" أن القانون في تمييز الحق من الباطل في الإخبار بالإمكان والاستحالة أن ننظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران وتمييز ما يلحقه من الأحوال لذاته"

ويقرر فضلاً عن ذلك « أن هذا النظر في الاجتماع البشري وما يشمله من الظواهر ينبغي أن يكون موضوعاً لعلم جديد هو علم العمران».

يعد ابن خلدون أول مؤسس لهذا العلم الجديد والذي سمّاه :

علم العمران البشري أو الاجتماع الإنساني.

- ❖ وهو ما يطلق عليه اليوم علم الاجتماع
 - ❖ لقد حدد إطار هذا العلم في مقدمة كتابه الشهير: (ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) والذي نعرفه بـ "مقدمة ابن خلدون"
 - ❖ وهذه المقدمة عبارة عن كتاب تاريخي
 - ❖ ومن هنا نرى أن ابن خلدون هو أول عالم يقرر في صراحة ووضوح نشأة هذا العلم الجديد واستكمال الخواص المنطقية التي يجب توافرها في كل علم من حيث الموضوع والمنهج والغاية التي يقصد إليها.
- ولا ينكر ابن خلدون أن كثيراً من المسائل التي يعالجها هذا العلم قد عرضت لها طائفة من العلوم والدراسات الأخرى ولكنها لم تدرس بنفس الطريقة التي يعينها ولا لنفس الغرض الذي يقصد إليه وهذه نقطة لها أهميتها في تمييز علم الاجتماع عن غيره من العلوم الأخرى
- ولا يكتفي ابن خلدون بأن يقرر أن المجتمع حقيقة يجب أن تدرس وأن علم الاجتماع هو الذي يدرس المجتمع البشري وما يلحقه من العوارض بل يحاول أكثر من ذلك أن يحلل الضرورة الاجتماعية ويكشف عن الدعائم التي تقوم عليها فيقول:
- " أن الاجتماع الإنساني ضرورة لأن الإنسان مدني بطبعه".

ويسير في شرح هذه القضايا على وتيرة من سبقه من المفكرين كأرسطو والفارابي ، ويقرر أن عدم كفاية الفرد يدفعه إلى التعاون والاشتراك في حياة الجماعة ومن ثم ينشأ التضامن الذي يعتبر أقوى الدعائم التي يقوم عليها المجتمع. وهذا ما فطر عليه الإنسان من شعور نحو الجماعة يدفعه إلى الاستئناس بغيره، ليستكمل بذلك خواصه النوعية والجنسية فضلاً عن حاجاته الضرورية.

وبدأ ابن خلدون بحوثه بدراسة العوامل التي ترجع إليها نشأة الحياة الاجتماعية وهي في نظره ثلاثة عوامل:

- الضرورة الطبيعية
- الشعور الفطري الذي زودت به الإنسانية لتحقيق الحياة الاجتماعية
- ميل الفرد ورغبته الخاصة في تحقيق فكرة الجماعة
- ١-الضرورة:
- وهذه الضرورة طبيعية غير أن لها مظهرين وهما : ضرورة اقتصادية لأن الفرد لا يستطيع أن يحصل على حاجاته إلا بالاجتماع ، وضرورة دفاعية لأن الصراع الدائم بين البشر وبين الحيوانات المتوحشة أدى إلى الاجتماع والتعاون للاحتماء والقضاء على الصراع المشترك.
- ٢-الشعور الفطري الذي زودت به الإنسانية لتحقيق الحياة الاجتماعية:
- فالإنسان مزود بشعور فطري تلقائي يدفعه إلى الاستئناس بأخيه الإنسان ، وابن خلدون إذ يدخل هذه الظاهرة السيكلوجية في تكوين المجتمع ويعتبرها عاملاً قوياً في قيام الحياة الاجتماعية، يكون قد

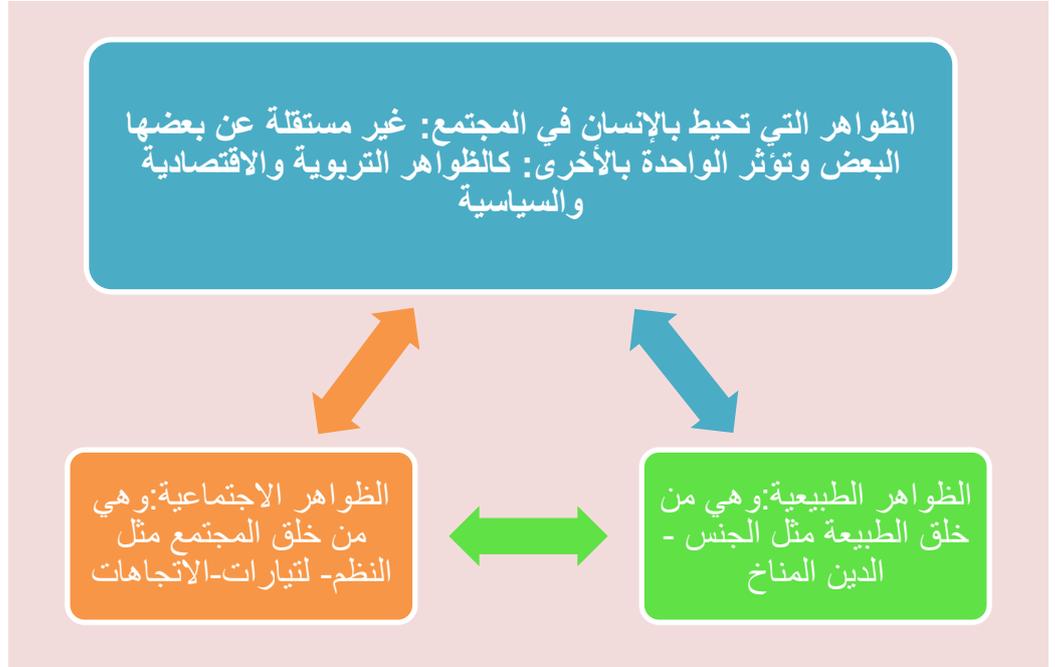
جاوز النظرية المادية التاريخية الحديثة التي تعتبر الضرورة الاقتصادية فحسب هي أساس المجتمع وأن كل ما يجرى على مسرح الحياة الاجتماعية إنما يرجع في أصوله ومبادئه إلى الظواهر المادية والاقتصادية على وجه الخصوص.

• ٣- ميل الفرد ورغبته الخاصة في تحقيق فكرة الجماعة :

- أي لا بد من تدخل جانب الإرادة وإلا كانت الحياة الاجتماعية سلسلة من العدوان والاضطرابات ، وإذ كانت الضرورة الطبيعية والنزعة التلقائية المفطور عليها الفرد قد أمنت الإنسان من المواد المفترسة وضمنت له حفظ النوع والإبقاء على الحياة فإن الرغبة والإرادة الفردية من ناحيتها تؤمن الفرد من أخيه وتدفع عدوان بعضهم على البعض الآخر فيستقر بذلك السلام ويعم الأمن.
- لكنها جميعا ضرورات طبيعية لنشأة المجتمع
- الضرورة الدفاعية
- لتوفير الحماية البشرية، فلا بد لقيام مجتمع من ضرورة دفاعية للدفاع سواء عن أفكار أو أديان في أي مجتمع من المجتمعات
- ضرورة الحياة الجمعية، ميل الفرد التلقائي بالفطرة للمشاركة في الحياة الاجتماعية
- ضرورة الاستئناس بالغير وهو شعور تلقائي طبيعي
- ضرورة التعاون:
- لا يمكن العيش في الحياة إلا بالتعاون مع الآخرين سواء بالحياة أو بالتعليم أو نواحي سياسية ، اجتماعية ، دفاعية ، أخلاقية
- ضرورة السلطة لدرء العدوان بين الناس: من أجل النظام ولعدم إشاعة الفوضى ووقوع الجريمة أو التعدي على الآخرين
- وهذه خاصية يمتاز بها علم الاجتماع على العلوم الأخرى، خاصة العلوم الرياضية والفيزيائية والكيميائي، التي تعالج **موضوعات مستقرة**.
- إن موضوع علم الاجتماع هو "بنو الإنسان في وجودهم الذي يقوم على الاعتماد المتبادل".
- إن وحدة موضوع علم الاجتماع تتمثل في فردين يكونان معا علاقة بشكل ما.
- **ومتى نشأ المجتمع على الصورة التي ذكرناها فإنه يكون مسرحا لطائفتين من الظواهر هما:-**
- الطائفة الأولى هي الظواهر الطبيعية
- والمجتمع بصدده هذه الظواهر لا يخلقها ولا ينشئها ولكنه يجدها مستقلة عنه بطبيعتها فتؤثر فيه ويتأثر بها ويخضع لنتائجها ويكيف نفسه تبعاً لمؤثراتها ، ويرجع أهم هذه الظواهر إلى الوسط الطبيعي الذي يحيط بالمجتمع من بيئة وعوامل مناخية والجنس الذي يتكون منه المجتمع والدين الذي يدين به ، وقد غالى ابن خلدون في تقدير آثار هذه الظواهر على الحياة الاجتماعية بشكل يؤخذ عليه.

• والطائفة الثانية هي الظواهر الاجتماعية:

- والمجتمع بصدده هذه الظواهر يخلقها خلقاً وينشئها إنشاءً، وقد فطن ابن خلدون إلى أن هذه الظواهر لا توجد منفصلة بل تكون كلاً متماسكاً الأجزاء ووحدة حية تتفاعل عناصرها وتشتبك آثارها فينتج عن ذلك ما نسميه بالدوافع والتيارات الاجتماعية، وما أشبه هذه الظواهر بفروع الشجرة المنتشرة في الفضاء والتي يجمعها جذع واحد هو المجتمع فيؤلف بينها ويكون منها عصباً واحداً تستمد غذاءها منه، ولا نستطيع أن نفصل أي فرع منها إلا إذا ألحقنا ضرراً بليغاً بهذه الشجرة.



- هذه هي أفكار ابن خلدون الرئيسية بصدده نشأة علم الاجتماع وطبيعة المجتمع.
- وفكرته الأساسية واضحة: وهي أن حياة المجتمع تعطينا مادة لعلم موضوعي، فليس ثمة شيء اسمه مصادفة في الأعمال والظواهر الجماعية.
- وما نسميه المصادفة ما هي إلا الأسباب الخفية التي يتعين على علم الاجتماع كشفها وتحليلها.
- ومما يدل على وضوح فكرة المجتمع في ذهنه أنه قارن بين المجتمعات الحيوانية والبشرية من حيث الجوهر والعوارض، فاجتماع الحيوان يكون مدفوعاً إليه بالفطرة فقط أما الاجتماع الإنساني فالدوافع إليه هي الفطرة والعقل معاً.
- وقد تمكن ابن خلدون بفضل تعمقه في دراسة هذه الأمور أن يضع أول أساس للفلسفة الاجتماعية.

ثانياً: موضوع علم العمران وفروعه وأغراضه.

- موضوع علم العمران هو دراسة الاجتماع الإنساني وظواهره وهو في نظر ابن خلدون علم وضعي لأنه لم يعده من بين العلوم العقلية، ولم يهتم ابن خلدون بتعريف الظاهرة الاجتماعية وإنما اكتفى بأن ضرب أمثلة لها تدلنا على أنه كان يعرف طبيعتها وخصائصها ولكنه لم يكشف عنها نظرياً.
- هذا ونجد أن ابن خلدون قد قسم موضوع علم الاجتماع إلى أقسام يضم كل قسم منها طائفة غير بسيطة من الظواهر الاجتماعية المتجانسة في طبيعتها ووقف على كل طائفة منها فصلاً أو أكثر من مقدمته، وبالتأمل في هذه الفصول يتبين لنا

أنه قسم ظواهر الاجتماع إلى قسمين أساسيين وهما:-

- القسم الأول بحوث تتعلق ببنية المجتمع أو (المورفولوجيا) :
- وهي البحوث التي تتناول دراسة الظواهر المتصلة بالبدو والحضر وأصول المدنيات القديمة التي وقف عليها الفصل الثاني، وتوزيع أفراد الإنسانية على المساحة التي تشغلها والنظم التي تسير عليها المجتمعات في هجرة أفرادها وفي كثافتهم وتخلخلهم والمسائل التي تتعلق بتخطيط المدن والقرى .
- والقسم الثاني هو دراسة النظم العمرانية :
- وتختلف هذه النظم باختلاف وجود النشاط العمراني ولذلك نراه يدرس كل طائفة منها على حده ، من ذلك انه درس الظواهر السياسية في الفصل الثالث في مقدمته، ودرس الظواهر الاقتصادية في الفصل الخامس، ودرس الظواهر التربوية في الفصل السادس وعرض في ثنايا دراساته إلى بحث طائفة كبيرة من الظواهر العائلية والأخلاقية والجمالية والدينية واللغوية وظواهر أخرى تتعلق بالسحر والشعوذة والرقي والتمايم.
- أما فيما يتعلق بالأغراض التي كان ابن خلدون يرمي إليها من إنشاء علم الاجتماع فهي نوعان:
- أغراض مباشرة
- وأغراض غير مباشرة.
- الأغراض المباشرة :
- هي أغراض نظرية تتلخص في ضرورة الكشف عن طبيعة الظواهر الاجتماعية ووظائفها والوقوف على القوانين التي تخضع لها.
- الأغراض غير المباشرة
- فتتلخص في الانتفاع بحقائق الاجتماع وقوانينه في تصحيح حقائق التاريخ وتعليل حوادثه أي أن ثمرة علم الاجتماع هي تصحيح الأخبار التاريخية من الأخبار الكاذبة والخاطئة.
- التقسيم المنهجي لظواهر علم الاجتماع
- ظواهر تتعلق بالنظم العمرانية: النظم الاجتماعية
- ظواهر تتعلق ببنية المجتمع أو ما سماه فيما بعد دوركهايم "المورفولوجيا الاجتماعية"
- المورفولوجيا الاجتماعية: علم البنية الاجتماعية ، وهي مجموعة الظواهر التي تتصل بالبدو والحضر وأصول المدنيات القديمة وتوزيع أفراد الإنسانية على المساحة التي تشغلها، والنظم التي تتبعها وشروط مواقعها ووظائفها
- أهداف علم الاجتماع:
- دراسة الظواهر الاجتماعية للكشف عن العلاقات التي تربط بينها وكذلك القوانين الثابتة التي تحكمها. لأن الظواهر لا تسير حسب الأهواء والمصادفات ، ولا حسب ما يريده الأفراد بل وفق قوانين ثابتة. وهذا يمكن أن يكون:
- (أ) هدفاً مباشراً يقوم على أسس نظرية هدفها الكشف عن طبيعة الظواهر الاجتماعية ووظائفها

• (ب) **هدفاً غير مباشر** يتلخص في الانتفاع بحقائق الاجتماع وقوانينه في تصحيح حقائق التاريخ وتعليل حوادثه

• علم الاجتماع علم متكامل، علم مستقل بنفسه، وموضوعه العمران البشري والاجتماع الإنساني، وما يلحق المجتمع من العوارض الذاتية أي ”القوانين“.

• درس الظواهر الاجتماعية في حالة ديناميكيته/تطورها

• يدرس الظواهر الاجتماعية في حالة سكونها/استقرارها (استاتيكيته)

• فكأن ابن خلدون يقرر أن علم الاجتماع علم نظري تقرييري يرمى إلى شرح ما هو كائن محاولاً الوقوف على طبيعة الحقائق المدروسة وعناصرها ووظائفها والقوانين التي يخضع لها، وله جانب فني تطبيقي يرمى إلى الانتفاع بنتائج هذه الدراسة العلمية التحليلية في تصحيح التاريخ .

ثالثاً: أسس الدراسة ومنهج البحث:

• كانت غاية ابن خلدون الاجتماعية هي أن يشرح ظواهر العمران بمختلف أنواعها وخاصة ما يتعلق منها بناحية التطور الاجتماعي.

• فرأى أنه من الضروري أن يبدأ بدراسة القوانين التي يحدث التطور طبقاً لها.

• هناك قوانين تسيّر الحركة الاجتماعية و يجب الوصول إلى هذه القوانين ويجب أن ندرس المجتمع البشري في ذاته.

• هذه هي الدراسة التي جعل منها ابن خلدون موضوعاً لعلم مستقل هو علم الاجتماع.

• وظيفة علم الاجتماع إذن :

• هي الكشف عن القوانين التي تسيّر وفقاً لهذه الظواهر العمرانية في نشأتها وتطورها والوظائف التي تؤديها.

• وللوصول إلى هذه الغايات النظرية، اتبع ابن خلدون في بحوثه ودراساته منهجاً مختلفاً لمنهج سابقه، قائماً على دعائم من:

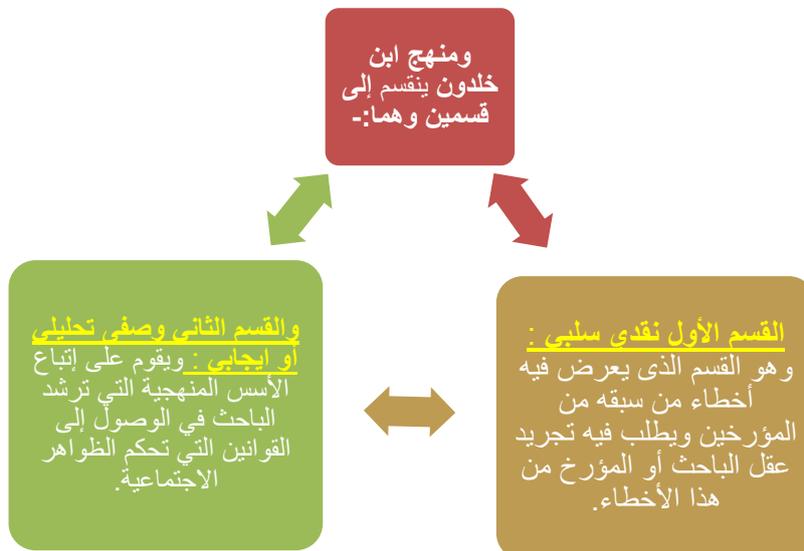
• الملاحظة والتجربة الشخصية

• والمنطق العلمي

• واستقراء الحوادث

• التحليل

• والمقارنة.



- في القسم الأول وهو القسم النقدي فقد عدد فيه ابن خلدون أخطاء المؤرخين ، ولخص ابن خلدون الأسباب التي أدت بهم إلى هذه الأخطاء في الأمور الآتية :
- أولاً: الاقتصار في الأخبار على مجرد النقل لأن الاعتماد على النقل وعدم النظر في أصول العادة وقواعد السياسة وشئون المجتمع وعدم قياس الغائب بالشاهد والحاضر بالذاهب ، ولا بد أن يؤدي بنا إلى الابتعاد والحياد عن جهة الصواب.
- ثانياً: التشيع للآراء والمذاهب لأن هذا التشيع يجرد الباحث من حريته ويجعله أسيراً لهذا الرأي.
- ثالثاً: الثقة بالناقلين وتصديق الباحث لما يرويهِ ثقافة المؤرخين ، فيجب على الباحث ألا يركن إلى هذه الثقة بل ينبغي أن يطبق على الحوادث التاريخية الطريقة النقدية بناحيتهما ، النقد الداخلي والنقد الخارجي ، بمعنى أنه يجب التأكد من أمانة الراوي وصدقه وسلامة ذهنه وطهارة عقيدته ومتانة خلقه وقيمه الشخصية. وهذه كلها مقومات النقد الخارجي ، ومن ناحية ثانية يجب مناقشة الرواية في ذاتها ومعرفة إلى أي مدى تتفق مع طبائع الأمور ومع الظروف والملابسات التي يحكيها الراوي ومناقشة كل ما يتعلق بمادة الرواية ، وهذه كلها من أهم مقومات النقد الداخلي.
- رابعاً: ومن الأخطاء ما يسميه ابن خلدون بالذهول عن المقاصد ، فكثير من المؤرخين أو الناقدين يجهلون الغاية مما يسمونه من الناس ويذهبون في صدد الروايات مذاهب شتى من الظن والحدس والتخمين ويغفلون الغاية المنشودة من قص الحوادث أو سرد الروايات فيقعون في الكذب لا محالة.
- خامساً: ومن بين الأخطاء تقرب العلماء والمؤرخين من أصحاب المراتب العالية والسلطات بالثناء والمدح ، فقد أدى هذا التقرب إلى أنهم قلبوا الحقائق وأفسدوا الوقائع وذلك في سبيل حصولهم على الجاه. فجاءت بحوثهم مناقضة لما تراه ضمائرهم
- سادساً: أما الخطأ الفادح في نظر ابن خلدون فهو جهل المؤرخين بطبائع الأحوال في العمران. لأنه يجعل الإلمام بطبائع العمران وأحواله المحك الأساسي لمعرفة حقيقة الحوادث وتمحيصها.
- هذه هي أهم الأخطاء التي أودت بالمؤرخين إلى الزلل.
- ولا يستقيم التاريخ ولا يستقيم الفكر في شؤون العمران إذا تخلصنا من آثار هذه الأخطاء وجردنا العقل من شوائبها.
- وهذا القسم النقدي مهم جداً للمؤرخ وعالم الاجتماع على السواء.
- وقد كان ابن خلدون موفقاً في تقرير هذه الأخطاء، فقد دلّ تحليله على عقلية دقيقة، وعلى أنه أمام مدرسة جديدة في البحث والدراسة.
- مقاطع الفيديو عن ابن خلدون
- في مغارة ابن خلدون التي كتب فيها المقدمة
- <Http://Www.Youtube.Com/Watch?V=aa2-w0q679i>
- فيلم وثائقي عن الفيلسوف الإسلامي ابن خلدون
- <Http://Www.Youtube.Com/Watch?V=ag3b7fjbw74>